نحو وعى اسلامى (٢٨)

الإسلام والحكم

أبو الحسن الندوى

المختار الاسلامى

الطبعة الأولى
١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م

أبو الحسن الندوى

الإسلام والحكم

المختار الاســـلامى
للطباعة والنشر والتوزيع
ص . ب ١٧٠٧ ــ القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

ان العالم الاسلامى حائر اليوم بين دين لا يسهل عليه العمل به والقيــام بمطالبه لعادات نشــأ عليها وحكومات أفسدته وتعليم اذابه وشهوات لا تتفق مع عقيدته ورسالته . وبين جاهلية لا ينشرح لها صدره لايمان لا يزال له بقيــة فيــه . وقوميــة عجنت مع الاسلام وحضارة تخمرت مع الدين .

ان العالم الاســلامى حائر بين شــعوب مســلمة بسيطة فى عقليتها ودينها وحكومات لم تنشرح صدور رجالها لهذا الدين ولم تطاوعهم نفوسهم على العمل به ، ولكنهم يصرون على أن يحكموا هــذه الشــعوب التى تؤمن بهذا الدين ، ولا يرون حياتهم وشرفهم الا فى البقاء فى الحكومة ، ولا يرون لهم محلا فى الحيــاة الا الزعامة والحكومة ، ولا موضعا فى العالم الا المجتمع الاسلامى الذى ولدوا ونشأوا فيــه ، فالشــعوب فى تعب منهم وهم منها فى بلاء وعناء .

ان العالم الاسلامى حائر بين فطرته التى تنزعه الى الدين وتاريخه الذى يدفعه الى الايمان والجهاد، والكتاب الذى يقبل به على الآخرة ويبعث فى نفسه

الثورة على المجتمع الفاسد والحيــاة الزائفــة ، وبين التربيــة العصرية التى تزين له المادية وتطبعــه على الجبن والضعف والزعامة التى تفرض عليــه الاتكال على الغير والاعتماد على العدو والفرار من الزحف .

ان العالم الاسلامى حائر بين شباب ثائر ودم فائر وذهن متوقــد وازهار تريد أن تتفتح ، وبين قيــادة شائخة شــائبة قد افلست فى العقليــة والحيــاة ، وحرمت الابتكار والابداع والشجاعة والمغامرة .

ان العالم الاسلامي حائر بين مواد خام من اقوى المواد وافضلها فى الايمان والقوة والشجاعة ، وبين موجهين وصناعيين لا يعرفون قيمة هــذه المواد ولا يعرفون اين يضعونها ولا ماذا يصنعون منها ..

هذا هو العالم الاسلامى الذى يواجه العالم اليوم فلا يجد غناءه ولا يجد فيه غوثا ومعقلا عن لصــوص العالم المنظمين وذئاب الانسانية التى تحكمت وعاشت فيها .

ثم هذا العالم العربى .. انه اليوم مع كل اسف اضعف اعضاء جسم العالم الاسلامى ، وقد كان واجبا ان يكون اقواها واصحها وأن يكون فى العالم الاسلامى

بمنزلة الراس أو القلب من البدن ، وقد تضافرت عليه عوامل الافساد والضعف فأحدثت فيه عللا كثيرة ، وقد ولد فيه ضعف الحكم التركي وغفلته عن تعليم الشعوب وتربيتها ، وانفاق الأموال فى غير موضوع ، وعسف فى غير هوادة ، اورث كل هذه البطالة وسقوط الهمة والجهل المطبق فى كثير من البلاد العربية ، وجاء الاستعمار الأوروبى فأورث التفسخ فى الأخلاق والانحلال فى الدين والاندفاع المتهور الى المادية والتهالك على الشهوات ، وقامت الحكومات الشخصية فأورثت التملق وكثرة المجاملات والنفاق والخنوع للقوة والمادة ، ثم جنى عليه قربه من أوروبا ، فكان هدفا لتياراتها المدنية ومنتجاتها الصناعية وأفكارها المتطرفة فأساء اليه موقعه الجغرافى وأهميته السياسية والاستراتيجية ، فلج به الغرب وطمع فيه الاستعمار، وطوقته الجنود الاجنبية ، وكان من بقايا الحضارة الشرقية والنظام الاقطاعى والحكم الشخصى المترف والبذخ والتفاوت الشديد بين الطبقات فى المعيشة ثم كان أن خفت فى العالم العربى صوت الدعوة الدينية من زمان ، وانقرض الرجال الذين كانوا يكافحون المادية ويكبحون جماحها ويلطفون من حدتها بدعوتهم

الى الله والى الآخرة والى الزهد والاعتدال فى الحياة وقمع الشهوات ويشعلون جمرة الايمان ، واستسلم العلماء ورجال الدين الى تيار الغرب وتغيرات العصر فوضعوا اوزارهم للمدنية الغربية ، وهجم عليه الأدب الشهوائى والصحافة الماجنة ، فحلت العقد ونفخت فى الشهوات ، واجتمع بعض ذلك الى بعض ، حتى أصبح هذا العالم منحلا منهارا متداعيا ، لا يمسكه الايمان ، ولا تحفظه القوة المعنوية ولا تقف فى طريق اندفاعه دعوة قوية .

فى مثل هذه الفترات المظلمة والسحب المتراكمة كان الله يبعث الأنبياء والمرسلين فى الزمن السابق ، ولكن بعد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، التى لم تكسف شمسها ولم يتوار نورها وان دينه لا يزال حيا ، وان الكتاب الذى جاء به لا يزال محفوظا ، وان امته التى ارسلت معه لتبليغ رسالته والقيام بدعوته لا تزال على وجه الأرض ولا تزال فيها الحياة والروح .

لقد أغنانا الله بفضل دينه المحفوظ وكتابه المتلو ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم الخالدة عن رسالة جديدة ورسول جديد .

ولكن لابد من تجديد واسع ، ودعوة صارخة وكفاح شديد يغير هذا الوضع الجاهلي الذى تورط فيه العالم الاسلامى تورطا قبيحا وامعن فيه العالم العربى الى ابعد حد ، وقد وعد الله واخبر رسوله باستمرار هذه الدعوة الاسلامية وبقاء التجديد ودوام الكفاح فى تاريخ الاسلام ضد الجاهلية التى ترفع عقيدتها زمنا بعد زمن وحينا بعد حين ، وقد اصبح خطب العالم الاسلامى وفساد احوال المسلمين وانحرافهم عن جادة الاسلام وطغيان بحر المادية اعظم واوسع من ان يتدارك بجهود فردية وخطب منبرية ودروس دينية ومباحث فقهية ومسائل جزئية ومحاربة الأفراد والاشخاص ، ان السيل لا يمسكه الا السيل مثله ، والتيار لا يدفعه الا تيار اقوى منه ، فلابد من كفاح عنيف وصراع شديد يغير مجرى الزمن ويقلب تيار الحياة من جهة الى جهة ، ويحدث انقلابا فى المجتمع والحياة وفى الاذواق والرغبات وفى قيم الاشياء وموازينها ..

وليس خطب الدعوة الدينية والتجديد الاسلامى بهين ، فليس رسالتها ومهمتها قلب نظام او تغيير وضع سياسى بوضع سياسى آخر ونظام اقتصادى بنظام اقتصادى آخر ، ولا نشر الثقافة والعلم ،

ومكافحة الأمية والجهل او محاربة البطالة والتعطل ، أو معالجة عيوب اجتماعية أو خلقية ، الى غير ذلك مما يقوم له الدعاة والمصلحون فى اوروبا وفى الشرق وانما هى دعوة الاسلام التى تشمل العقيدة والاخلاق والأعمال والعبادة والسلوك الفردى والاجتماعى ، وتتناول العقل والقلب والروح والجسم ، وتعتمد على تغير عميق فى القلب والنفسية والعقيدة والعقلية وتنبع من القلب قبل أن تنبع من قلم او صحيفة او كتاب أو منصة خطاب وتنفذ على جسم الداعى وحياته قبل أن يطالب بتنفيذها على المجتمع والأمة ..

هذه الدعوة كانت جديرة فى الحقيقة بالأنبياء ومواهبهم وقواهم ورسالتهم وايمانهم وجهادهم وثباتهم وفقههم وحكمتهم واخلاصهم ، ولكنها ليست خاصة بالأنبياء بل هى دعوة خلفائهم وأتباعهم كذلك ، ودعوة كل عصر ومصر .. وحاجة الانسانية كلها والعصور كلها .. فلابد أن تجدد فى كل زمان وفى كل محيط . وتكون على أساس دعوتهم مطابقة لسيرتهم .. مقتبسة من مشكاتهم ، فلنرجع الى هذا المصدر ، ولندرسه دراسة عميقة ..

واذا تتبعنا سيرة الأنبياء عليهم السلام فى دعوتهم رأينا جوانب كثيرة تمتاز بها سيرتهم وتقوم عليها

دعوتهم ، عن تلك التي تميز بها القادة والمصلحون من عامة البشر ..

١ ــ الالتجاء الى الله فى جميع مراحل الدعوة والجهاد .. بل فى جميع مراحل الحياة .. والاطراح على عتبة عبوديته اطراح الفقير الكسير ، والارتماء فى احضان رحمته ارتماء الطفل الصغير فى احضان امه والايمان القوى بانه هو النافع الضار ، والناصر الخاذل وان لا مانع لما اعطى ولا معطى لما منع ولا كاشف لضره ، ولاممسك لرحمته ولا سهل الا ما جعله سهلا وهو يجعل الحزن سهلا ، وينصر الضعيف على القوى والقليل على الكثير ، والضعيف مع نصره قوى ، والقليل مع رحمته كثير . هذا الايمان كان يوحى اليهم بالابتهال فى الدعاء واطالة الوقوف ببابه وشدة الالتزام بأعتابه والالحاح فى المسالة ، وبذلهم المعانى العجيبة والتعبيرات الرقيقة، ولننظر الى قول سيد الانبياء وسيد الدعاة الى الله الى يوم القيامة وهو يمثل خير تمثيل لايمانه وشعوره بفقره وضعفه وافتقاره الى رحمة الله « اللهم انك تسمع كلامى وترى مكانى ، وتعلم سرى وعلانيتى ، لا يخفى عليك شىء من امرى ، وانا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المقر بذنبه ، اسالك مسالة المسكين ، وابتهل اليك ابتهال المذنب الذليل ، وادعوك

دعاء الخائف ، ودعاء من خضعت لك رقبته وفاضت لك عبرته ، وذل لك جسمه ، ورغم لك أنفه، اللهم لا تجعلني بدعائك شقيا ، وكن لى رؤوفا رحيما يا خير المسئولين ويا خير المعطين » ولنذكر دعاءه صلى الله عليه وسلم فى الطائف وقوله « اللهم اليك اشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس ، يا ارحم الراحمين ، الى من تكلنى ، الى عدو يتجهمنى ، أم الى قريب ملكته أمرى ، ان لم تكن ساخطا على فلا أبالى ، غير ان عافيتك أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى اشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن يحل بى غضبك او ينزل على سخطك لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة الا بك » ونذكر موقفه فى بدر ، قال ابن اسحق « ثم عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف ، ورجع الى العريش فدخل ومعه فيه أبو بكر ليس معه غيره، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يناشد ربه ما وعد من النصر ويقول فيما يقوله « اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد » .

هذه كانت عدة الأنبياء عليهم السلام ، وقوتهم ومفتاح دعوتهم ، فقد امتازت دعوتهم بتقديم الدعاء

والاهتمام به والابتهال فيــه ، وليس الدعاء الا رمزا للانابة الى الله والاعتماد عليه والاعتزاز به ، فامتازت دعوتهم وجهادهم فى سبيلها بطابعهما الروحي والايماني، وقد روى انه كان صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة ، وقال تعالى ((**واستعينوا بالصبر والصلاة**)) ولا شــك ان جهاد الدعــوة أعظم من ان يضطلع به الانســان بقوته الجســدية وعدته المادية وكفايته العقلية والعلمية ، ولا يستقل به الا بالقــوة الروحية ونصر الله ومعونته . وان هــذه الصــخور العظيمة بل الاطواد الشــامخة التى تقف فى ســبيل الدعوة ، وتهجم على رؤوس الدعاة وتصطدم بجهودهم لا تذوب الا بنصر الله الذى يستنزل بالدعاء والالتجاء الى الله .

٢ ــ امتازت دعوة الانبياء وجهودهم بتجردها من التفكير فى المنافع المادية والثمــرات العاجــلة فــكانوا لا يبتغون بدعوتهم وجهادهم الا وجــه الله ، وامتثــال اوامره وتأدية رسالته ، تجردت عقولهم وافكارهم من العمل للدنيا ونيل الجاه وكسب القــوة لاسرتهــم او اتباعهم والحصول على الحكومة .. وحتى لم يخطر ذلك ببال اصحابهم واتباعهم ، وكانت هــذه الحومة التى قامت لهم فى وقتها والقوة التى حصلت لهــم فى دورها لم تكن الا جائزة من الله ووسيلة للوصــول

الى اهداف الدين وتنفيذ احكامه وتغيير المجتمع وتوجيه الحياة كما قال الله تعالى ((**الذين ان مكناهم فى الأرض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر**)) ولم تكن هذه الحكومة قط غاية من أهدافهم او حديثا من احاديثهم او حلما من احلامهم، انما كانت نتيجة طبيعية للدعوة والجهاد كالثمرة التى هى نتيجة طبيعية لنمو الشجرة وقوة اثمارها ، وقد قال كاتب هذه السطور فى رسالته « بين الهداية والجباية » ما يحسن نقله هنا :

« بعث محمد صلى الله عليه وسلم فدعا الناس الى الاسلام فالتف حوله ((**فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه الها لقد قلنا اذاً شططا ، هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين . فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا**)) . . وكان هؤلاء الفتيان هدف كل قسوة وظلم واضطهاد وبلاء وعذاب ، وقد قيل لهم من قبل ((**احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين**)) فصمدوا لكل ما وقع لهم وثبتوا كالجبال ، وقالوا : ((**هذا ما وعدنا الله ورسوله**

وصدق الله ورسوله » .. حتى اذن الله فى الهجرة ولم تزل الدعوة تشق طريقها وتؤتى أكلها حتى قضى الله أن يحكم رجالها فى العالم .. ويقيموا القسط ويخرجوا الناس من الظلمات الى النور ومن عبادة العباد الى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، فقد عرف انهم اذا تولوا وسادوا **« اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر»**

وهكذا جاءت الدعوة بالحكومة ، كما تاتى الامطار بالخصب والزرع ، وكما تأتى الاشجار بالفاكهة والثمر فلم تكن هذه الحكومة الا ثمرة من ثمرات هذه الدعوة الاسلامية ولم تكن هذهالعزة والقوة الا نتيجة ذلك العذاب الذى تحملوه من قريش وغيرهم وذلك الهوان الذى لقوه فى مكة وغيرها .

وفرق كبير بين الغاية التى تقصد والنتيجة التى تظهر . ويظهر هذا الفرق فى نفسية العامل والساعى، فالذى يقصد الحكومة يتوانى ويفمد اذا لم ينلها او انقطع أمله فيها ، ويشتغل بها عن الدعوة ويطغى اذا نالها . وخطر على كل جماعة تتكون عقليتها بحب الحكومة والسعى لها أن تقعد عن الجهاد فى سبيل الدعوة او تنحرف وتزيغ فى قصدها ، لان اساليب

الوصول الى الحكومة تخالف إساليب الدعوة . فيجب علينا أن ننقيعقولنا ونفوسنا ونجردها للدعوة وللدعوة فحسب والخدمة والتضحية والايثار واخراج النـاس باذن الله من الظلمات الى النـور ومن الجاهليـة الى الاسلام ومن ضيق الدنيا الى سعتها ومن جور الأديان المحرفة والنظم الجائرة والمذاهب الغاشمة الى عدل الاسلام وظله ، ولا يكون دفعنا الى العمل والجهـاد الا امتثال أمر الله والفوز فى الآخرة وما أعد الله لعباده من الأجر والثواب ، ثم الشفقة على الخلق والرحمة بالانسانية المعذبة والحرص على نجاة الانسان ، فاذا كان ذلك **لا يمكن فى مرحلة من مراحل الدعوة او فى فترة من فترات التاريخ ــ بعد تغلغل مبادىء الدعوة فى نفوس الدعاة ورسوخ العقيدة فيهم ــ الا بالحكومة سعيا لها بمصلحة الدعوة والدين كما نسعى الى الماء للوضوء ونجتهد لهذا السبب بنفس العقلية وبنفس السيرة وبنفس العفة والنزاهة والصـدق والأمانة والخشوع والتجرد الذى نجتهد معه لواجبات الدين وأركانه والعبادات الأخرى ، فلا فرق للمؤمن بين الحكومة وبين العبادات اذا حصل الاخلاص وصحت النية فكل فى رضا الله وكل فى سبيل الله وكل عبادة يتقرب بها العبد الى الله .**

٣ ــ ومما امتازت به حياة الأنبياء وسيرتهم النبوية المثابرة على الدعوة والصبر عليها ، فلا يتخطون هذه المرحلة التى هى الاساس بسرعة وعجلة ، ولا يطفرون منها طفرا الى مرحلة أخرى بل يقضون فيها سنين طوالا ولا يشتغلون بغيرها ولا يطمئنون الى أن المجتمع قد عقل دعوتهم واستساغها ولا الى الدعاة انهم قد بلغوا رسالتهم وأدوا مهمتهم ولا الى النفوس أنها قبلت هذه الدعوة وهضمتها هضما صحيحا واحلتها منها محلا لائقا وانست النفوس باتباع الاحكام وانقاد لها جماحها ولانت لها قناتها لا يطمئنون الى كل هذا حتى يتحققوه ويختبروه مرة بعد مرة فلا يخدعون أنفسهم ولا تغرهم بهرجة الكلام فتكون نتيجة هذه التربية المتينة والدعوة الطويلة أنها تؤتى أكلها ناضجة شهية ولا تخدع الدعوة نتائجها فاذا قامت الحكومة قامت على أساس متين من الأخلاق وعلى اكتاف رجال أقوياء أقوياء فى عقيدتهم أقوياء فى سيرتهم أقوياء فى خلقهم أقوياء فى عبادتهم أقوياء فى سياستهم لا يندفعون مع التيار ولا تجرف بهم المدنية ولا يلعب بعقولهم الغنى بعد الفقر واليسر بعد العسر والقوة بعد الضعف ولا تميل بهم المحسوبيات والأرحام والصداقات ولا تستهويهم المطامع والمنافع هذا كان شأن الخلافة الراشدة وهذه كانت سيرة الخلفاء

الراشدين وهنا انقل مرة ثانية ماقلته في رسالتي(بين الجباية والهداية) « تاسست دولة الاسلام وفتحت فارس وبلاد الروم والشام ونقلت الى عاصمة الاسلام ـ المدينـــة المنورة ـ كنـــوز كسرى وقيصر وانصبت عليها خيرات المملكتين المظيمتين وانهال على رجالهـــا من اموال هاتين الدولتين وترفها وزخارفها ما لم يدر قط بخلدهم وقد انقضى على اسلامهم ربع قرن وهم في شدة وجهد من العيش وفي خشونة المطعم وخشونة الملبس لا يجدون من الطعام الا ما يقيم صلبهم ولا من اللباس الا ما يقيهم من البرد والحر فاذا بهم اليـــوم يتحكمون في اموال الاباطرة والاكاسرة ولو اراد الواحد منهم ان يلبس تاج كسرى وينام على بســـاط قيصر لفعل لقد كانت هذه والله محنة عظيمة تزول فيهـــا الجبال الراســـيات وتطير لهـــا القلوب مـــن جوانحها وتعمى العيون ولكنهم ما فطنوا انهـــم ما وقفوا بين الفقر والغنى فحسب بل انهم خيروا بين ان يتنازلوا عن دعوتهم وامانتهم ومبادئهم وينفضـــوا منها يدهم فلا يطمعوا فيها ابدا وبين ان يحافظوا على روح هذه الدعوة النبوية وعلى ســـيرة رجالهـــا اللائقة بخلفـــاء الأنبياء والمرسلين وحملة الدعوة والمؤمنين المخلصين.

كان لهم ان يؤســـسوا ملكا عربيا عظيما على انقاض الدولة الرومية والفارســـية وينعموا كما نعم ملوكهـــا

وامراؤها من قبل فقد ورثوا الامبراطوريتين الفارسية والرومية وجمعوا بين موارد دولتين فاذا كان كسرى يترفه بموارد فارس فقط واذا كان هرقل يبذخ بموارد الروم فقط فهـذا عمـر بن الخطاب يمكنه ان يترف بموارد الامبراطوريتين ويبذخ بذخا لم يبذخه أحدهما.

كان له ولاصحابه كل ذلك بكل سـهولة ولـكنهم سمعوا القرآن يقول **« تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين »** وكأنهم يسمعون نبيهم صلى الله عليه وسلم يقول قبل وفاته لا الفقر إخشى عليـكم ولـكن اخاف ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتهلككم كما أهلكتهم فهتفوا عن آخرهم قائلين « اللهم لا عيش الا عيش الآخرة فاغفر للانصار والمهاجرة » .

وهكذا حافظوا على روح الدعوة الاسلامية وسيرة الأنبياء والمرسلين وعاشوا فى الحكومة كرجال الدعوة وفى الدنيا كرجال الأخرى وملكوا أنفسهم فى هذا التيار الجـارف الذى مال قبلهـم بالمدنيـات والحكومات والشعوب والأمم ومال بالمبادىء والأخلاق والعـلوم والحكم .

مازال الناس يعدون اقتحام المسلمين دجلة بخيلهم وجندهم تحت قيادة سعد بن أبى وقاص ووصولهم

الى الشط الثانى — من غير ان يصابوا فى نفس او مال او متاع — حادثا غريبا من اغرب ما وقع فى التاريخ ان الحادث لغريب ، ولـكن اشـد منه غرابة وادعى للعجب ان المسلمين فى عهد الخلافة الراشدة والفتوح الاسلامية الأولى خاضوا فى بحر مدنية الروم وفارس وهو هائج مائج وعبروه ولم يفقدوا شيئا من اخلاقهم ومبادئهم وعاداتهم ووصـلوا الى الشـط الثانى ولم تبتل ثيابهم ولم يزل الخلفاء الراشدون وامراء الدولة الاسلامية من اصحاب النبى صلى الله عليه وسـلم محتفظين بروحهم ونفسيتهم وزهدهم وبساطتهـم فى المعيشة وتخشنهم فى اوج الفتوح الاسلامية .

٤ — ومن مزايا الانبياء والدعاة الى الله التجرد للدعوة والتفرغ لها بالقلب والقالب والنفس والنفيس والوقت والقوة فمن شانهم انهم يركزون جهودهـم ومواهبهم ويوفرون اوقاتهـم وقواهم لهـذه الدعوة ونشرها والجهاد فى سبيلها ويعطونها كلهم ولا يضنون عليها بشىء مما عندهم ولا يحتفظون بشىء ولا يؤثرون عليهم شيئا لا وطنا ولا اهلا ولا عشيرة ولا هوى ولا مالا ثم تثمر جهودهم وقد لا تثمر فى الدنيـا وقد تثمر بعـد حياتهم فهذا هو النبى صلى الله عليـه وسـلم يخاطب بقوله تعالى « **واما نرينك بعض الذى نعدهم**

أو نتوفينك فالينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون » (يونس) واذا كان هذا شأن الدعوة بعد ما أعطاها الأنبياء كل ما عندهم فكيف بها اذا أعطيناها بعض ما عندنا وكانت الدعوة تملك عليهم عقولهم ومشاعرهم وتملك عليهم تفكيرهم وصحتهم فما زال القرآن يسلى النبى صلى الله عليه وسلم ويقول له **« فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا »** ـ الكهف .

٥ ـ ومن مزايا الأنبياء عليهم السلام ومن كان على طريقهم فى الدعوة الى الله ان هذه الدعوة الى الله والى الدار الآخرة تسرى فى حياتهم كما يسرى الماء فى عروق الشجر والكهرباء فى الاسلاك وتظهر فى اخلاقهم وعباداتهم فترق قلوبهم وتخشع نفوسهم وتزداد رغبتهم فى العبادة ويشتد اهتمامهم بها وحرصهم عليها وايفاؤهم لحقوقها فعن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال قام النبى صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه فقيل له قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال « أفلا أكون عبدا شكورا » وعن عائشة رضى الله عنها قالت قام النبى صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة ، والآية هى **« ان تعذبهم**

فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم »
وانتقلت هذه اللذة بالعبادة والاهتمام بها الى الصحابة رضى الله عنهم فى اشد الأوقات شغلا واقلقها خاطرا حتى كان اعداؤهم يعرفون ذلك عنهم وقد وصفهم رجل من الروم بقوله هم « فرسان بالنهار رهبان بالليل » ويقول قائل لو حدثت جليسك حديثا ما فهمه عنك لما علا من اصواتهم بالقرآن والذكر .

٦ ــ ومن مزايا الأنبياء عليهم السلام ومن كان على قدمهم أنهم يأخذون بالعزيمة فى الدين ولا يأخذون بالرخصة ــ الا بيانا للحكم الشرعى وشكرا لنعمة الله ورفعا للحرج عن الأمة ولا يعفون انفسهم ولا يتساهلون فى العبادات لأن اتباع الناس للدين وعملهم به بمقدار تصلب هؤلاء السادة فى الدين وتمسكهم به فاذا اهتم هؤلاء بالنوافل اهتم الناس بالفرائض واذا اكتفى القادة بالفرائض استرسل الناس الى تركها والاستهانة بحقها لذلك كان الصحابة رضى الله عنهم وقادة هذه الامة يشمرون عن ساق الجد فى العبادات والمحافظة على الجماعات والعمل بالسنن الدقيقة والاهتمام

بالآداب ولا يكتفون بالأدنى ولا يقفون عند الفريضة وبذلك استطاعوا أن يورثوا الدين موفورا غير منقوص وهو أمانة عند هذا الجيل فلينظر كيف يورثه الأجيال الآتية .

٧ـ وما يمتاز به الأنبياء والمرسلون عن الحكماء والمؤلفين والعلماء المحققين أنهم يعنون بتربية النفوس والأشخاص الذين يضطلعون بأعباء الدعوة بعدهم وينفذون تعاليمهم ورسالاتهم علما وعملا ومعلوم ان دعوتهم العظمى لا تقوم الا على اكتاف الأصحاء الأقوياء الحنفاء المخلصين فى ايمانهم والمخلصين فى تفكيرهم والمخلصين فى نياتهم الذين قد تنقت رؤوسهم وصدورهم من الوات الجاهلية والذين هضموا الاسلام هضما صحيحا وانقطعت كل صلة فى حياتهم عن الجاهلية بأوسع معانيها وخلقوا فى الاسلام خلقا جديدا .

ونرى ذلك واضحا فى حياة سيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام فلما كان بنو اسرائيل قد نشاوا فى حياة العبودية والذل والاضطهاد والسخرة الظالمة وماتت رجولتهم واباؤهم ووردوا على

الخنوع والاستكانة والخضوع للقوى الغالب وعلى الجبن والحرص الشديد على الحياة والخوف الشديد من الموت وأسبابه حتى قال لهم نبيهم ((**يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منهـا فانا داخلون**)) ولم يشجعهم على التقدم والقتال قول موسى عليه السلام كتب الله لكم مع أنه كان ضـمانا لانتصارهم واخيرا قالوا بكل صراحة ووقاحة ياموسى انا لن ندخلهـا ابدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا أنا هاهنا قاعدون فظهر أن نشأتهم الأولى تأبى عليهـم أن يخوضـوا فى معـركة ويدخلوا فى امتحان ويعرضوا أنفسهم للخطر وقطع موسى من هذا الجيل الفاسد الرجاء وقال ((**رب انى لا املك الا نفسى واخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين**)) هنالك أمره الله بالاعتزال مع قومه (لا عن قومه) فى بيـداء سـيناء حيث الشظف وخشونة الحياة وهنالك ينقرض هذا الجيل الفاسد الذى شب على الجبن والضعف وشاب عليه وينشـأ الأولاد والشـباب الاسرائيـلى الذين لا يزالون فى مقتبل العمـر ــ على التخشن والجـلادة

وتحمل شدائد الحياة ـ ومكارهها وينشأ جيل جديد يولد فى هذه العزلة والبداوة على معانى الرجولة والفروسية وهكذا تتكون أمة جديدة تقوم بدعوة النبى وتطبيق تعاليمه ومبادئه وتجاهد فى سبيلها .

وذلك معنى بليغ من معانى الهجرة النبوية فقد استطاع سيد الأنبياء وسيد الدعاة الى الله ـ عليه الصلاة والسلام بانتقاله مع أصحابه من ضيق مكة الى سعة المدينة وحريتها ان يكمل تربية أصحابه وان ينشىء الجيل الاسلامى الجديد الذى لم يلبث ان اضطلع بأعباء الدعوة المحمدية ومثل الاسلام تمثيلا كاملا .

كذلك الدعوة الاسلامية تفرض انشاء جيل جديد للاسلام جديد فى قوة ايمانه جديد فى حماسته وثقته جديد فى أخلاقه جديد فى تفكيره وعقليته جديد فى كفايته العلمية واستعداده العقلى وان النجاح فى هذا الانتاج البشرى مقياس نجاح الدعوة فكلما كان النجاح كبيرا فى ايجاد هذا الجيل وتكوين هذا الشباب كان النجاح باهرا فى الدعوة والرسالة ومعلوم ان

انشاء الجيل الجديد او تقويم الجيل المعاصر الذى لم يفقد صلاحيته ونموه ـ ليس بالامر الهين انها مهمة لتنوء بالعصبة اولى القوة انها تحتاج الى تكريس الجهود وتركيز القوى على هذه الغاية والتفكير العميق الواسع والتعاون الشامل والتصميم الحكيم أنها تتطلب أساليب التربية الحكيمة العميقة الأثر وجهودا عملية فى ميدان الدعوة والاصلاح انها تتطلب حركة التأليف والانتاج الواسعة ومقدارا كبيرا من الابتكار انها تتطلب وضع منهاج جديد على أساس جديد للدراسات ومثالا جديدا من المدارس والكليات والجامعات ومؤلفات ومنشورات جديدة فى شرح الدين الاسلامى وعرض الفكرة الاسلامية وتاليفات جديدة فى السيرة النبوية وتدوين جديد للتاريخ الاسلامى وسبك جديد للعلوم الاسلامية وتفسير جديد للعلوم الكونية وتلقيح علمى جديد للصحافة والادب والروايات والشعر ، اننا أمام انقاض عقلية وركام بشرى وخامات مهملة نبنى بها بيتا جديدا ونصنع بها سفينة جديدة تمخر عباب الحوادث والموانع وعلينا ان نبدأ فى عمل جديد وجهاد جديد يستغرق وقتا طويلا ويستنفد جهودا عظيمة وذلك ان كان عملا

شاقا طويلا متعبا مملا متعبا ولكن لابد من انجاز هذا العمل ومن مواجهة هذه الحقيقة والتغلب على العقبات التى تعترض سبيلها .

هذه مزايا الدعوة النبوية ومزايا الدعوة التى تكون على قدم النبوة وواجباتها وبدلك تمتاز عن الحركات القومية والاصلاحات الاجتماعية والثورات السياسية والاقتصادية ومن هذه المنابع نستمد القوة والروح ونستحق من الله النصر ونجلب الرحمة فلنحافظ عليها محافظتنا على الشعائر والعقيدة ولنحرص عليها حرصنا على الحياة والقوة .

مطابع المختار الإســلامى
دار السلام